المنهج القرآني

في الحث على محاسن الأخلاق والتحذير من مساوئها

علي بن فهد القرواني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية
كلية الشريعة بالرياض
قسم الثقافة

(المنهج القرآني في الحث على محاسن الأخلاق والتحذير من مساوئها)

إعداد الطالب:
(علي بن فهد القرواني)

العام الجامعي

١٤٤٣هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

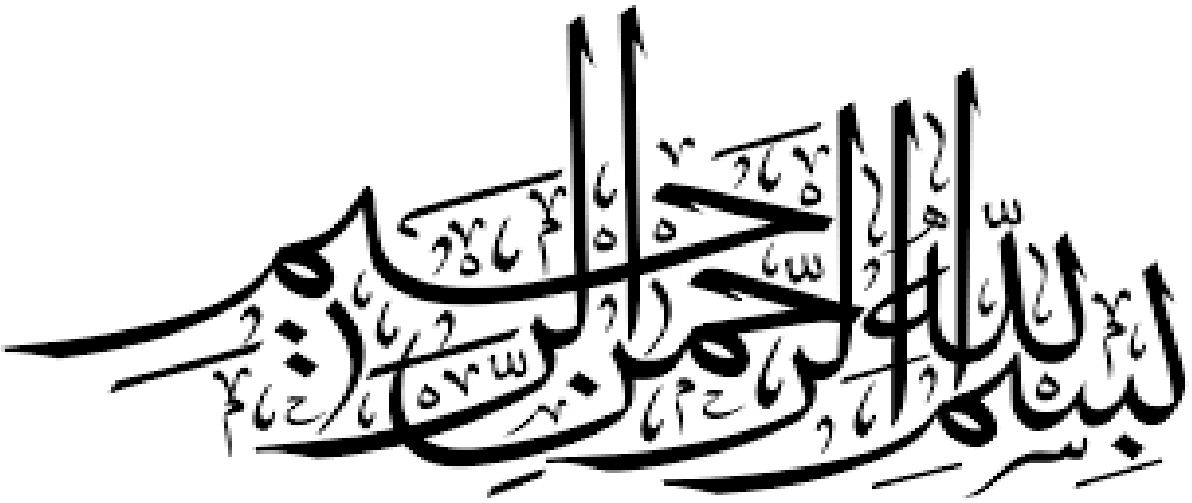

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، أما بعد: -

فاعلم وفقك الله تعالى أن القرآن جاء هدى وضياء ونورا وشفاء، وفيه العزة والرفعة وعلو الشأن دنيا ودينا، فمن اتصل به وعاش معه فقد حاز ما ذُكِرا.

وإن الحديث الذي نتناوله نحن والله الموفق: هو في جوانب التربية من أعظم كتاب وأجلّ كلام، كلام ربنا ذي الجلال والإكرام، قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[١] قال السعدي[٢] في معنى (ويزكيكم): أي: (يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة)[٣]، ولذا جاء القرآن بالحث على اكتساب ما يزين النفس من الأخلاق، معبراً عن ذلك بأساليب شتى، وبمواضع عديدة، لكي تشرئب النفوس، وتسعى لتحصيلها.

أهمية الموضوع:

إن القرآن هو منبع العلم وأصله ومثله سنة رسول الله ﷺ فلا ينبغي لمسلم الحياد عن هذه الأصول وتلك العلوم التي لا تقوم قائمة للمرء المسلم إلا بالكتاب والسنة، ولا شك أن التربية والأخلاق والفضائل والمبادئ مما تعم بها البلوى وتكون في حياة الشخص اليومية؛ إذن يلزمه تعلم ذلك واقتفاء سنة الصالحين في تطبيق أوامر الله، والسعي إلى تحصيل محاسن الأخلاق واجتناب مساوئها، ولا يتأتى ذلك إلا بالاستعانة بالله وحده؛ كما جاء في وصية الرسول ﷺ لابن عباس[٤]: "وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ..."[٥].

---

(١) [البقرة: ١٥١].

(٢) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. عالم ومفسّر ولد في القصيم سنة ١٣٠٧هـ، طلب العلم وجدّ فيه فحفظ القرآن الكريم والمتون فاشتهر أمره وعلت منزلته وكثر تلاميذه، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي—صـ ٧٤.

(٤) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، لُقِّب بـ حَبْر الأمة وترجمان القرآن، والحبر والبحر.

(٥) رواه الترمذي برقم: ٢٥١٦، وقال: "حديث حسن صحيح".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

~وعلى إثره جرى تقسيم البحث إلى: ثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس، وهي كالتالي:

١-مبحث: الترغيب في الأخلاق من خلال الاقتداء بالأنبياء.

٢-مبحث: ترتيب الثواب للحث على محاسن الأخلاق.

٣-مبحث: ترتيب العقاب على سيء الأخلاق وبذيئها.

٤-الخاتمة.

٥-الفهرس.

نسأل الله التوفيق والسداد فيما نقوم به، واعلم أخي الفاضل: أن الدعوة إلى محاسن الأخلاق لا تنحصر فيما ذكرنا فقط، بل هي كثيرة والحمد لله، ولكننا اقتصرنا على تلك المذكورة في المباحث السابقة، وهي وسعنا والله الموفق.

وكما قيل: "جلَّ من لا يسهو" وعُلِمَ بالضرورة أنه: لا عصمة إلا لكتاب الله تعالى، فدونكم سُبل التواصل للتنبيه والتنويه والإفادة.

الرقم: ٠٥٠٨٥٥٦١٩٨

البريد: A777999A74@GMAIL.COM

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(المبحث الأول: الترغيب في الأخلاق من خلال الاقتداء بالأنبياء)

الله عز وجل يخلق ما يشاء ويختار، اصطفى من البشر رسلاً وأنبياء، علَّمهم ورباهم، وأرسلهم إلى عباده بدينه(٦).

- واشتملت تربيتهم ودعوتهم على أربعة أمور:

١-تحصيل الإيمان

٢-حفظ الإيمان.

٣-الاستفادة من الإيمان.

٤-نشر الإيمان.

فاجتهدوا لتحصيل الإيمان بالنظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، والعبادة والتزكية، وكثرة ذكر الله، حتى جاء في قلوبهم اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته، وأنه خالق كل شيء، وبيده كل شيء، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وبذلوا من أجل الدين كل شيء، وصبروا على كل ذلك، فكمل الإيمان واليقين في قلوبهم, ثم اجتهدوا لحفظ الإيمان بلزوم العبادة، والبيئات الصالحة، والعمل الصالح، والإكثار من ذكر الله، ومواصلة الدعوة إلى الله، وبذل كل جهد في سبيل إعلاء كلمة الله, ثم اجتهدوا لقضاء حاجاتهم وحاجات الدين بالاستفادة من الإيمان، فيرون أن الله معهم حيثما كانوا، ويطلبون منه وحده كل شيء؛ كما أغرق الله الكفار بدعاء نوح عليه السلام.. وفتح البحر لموسى.. وفجر الحجر بالماء لموسى.. وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم.. وخرج الماء من بين أصابع محمد صلى الله عليه وسلم.. ونصره في غزوة بدر والأحزاب وحنين وغيرها، وهكذا استفادوا من قدرة الله، ومن خزائن الله، ثم اجتهدوا على نشر هذا الإيمان، وهذا اليقين بين أقوامهم، ومن أُرسلوا إليه، ليعبدوا الله وحده لا شريك له، فالله ربى أنبياءه ورسله على هذا الإيمان، والأنبياء والرسل يربون أممهم على ذلك، فيزيد إيمانهم وإيمان أتباعهم، ويتحقق مراد الله من خلقه بعبادته وحده لا شريك له.

---

(٦) موسوعة الفقه الإسلامي—(١/١٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٧).

ولعلي أذكر من محاسن أخلاق رسل الله تعالى أولا؛ لأننا مأمورون بالاقتداء بهم واقتفاء أثرهم واتباع طريقهم؛ قال تعالى بعد ثنائه عليهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٨).

ولا شك أن دعوتهم واحدة؛ وهي دعوة الإسلام وإفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٩)؛ إذن اعلم أخي الفاضل—وفقك الله—أن أعظم قيمة وتربية يُتَّبع فيه الأنبياء هي: **"العبودية"** لله تعالى، ومن ذلك وصية لقمان لابنه؛ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١٠) هذا هو غرس الإيمان في قلب الطفل، يوم أن ينشأ عابداً لله عز وجل، يوم أن يسقط الطفل على الأرض وهو يسقط مسلماً حنيفاً ولم يكن من المشركين، فما من مولود إلا ويولد على الإسلام، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

ثانيا: **"الحلم والتواضع"** وذلك يظهر جليًا من خلال: رعي الرسل والأنبياء للغنم؛ قال تعالى على لسان موسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾(١١)، وقال ﷺ: (ما بعثَ اللَّهُ نبيًّا إلَّا راعيَ غنمٍ، قالَ لَهُ أصحابُهُ: وأنتَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: وأنا كُنتُ أرعاها لأَهْلِ مَكَّةَ بالقَراريط قالَ سُوَيْدٌ: يعني كلَّ شاةٍ بقيراطٍ)(١٢)، ففي رعي الغنم ما فيه من تهيئة الله -سبحانه وتعالى- لنبيه، لتلقي الرسالة والقيام بأمر

(٧) [الجمعة: ٢]
(٨) [الأنعام: ٩٠]
(٩) [النحل: ٣٦]
(١٠) [لقمان: ١٣]
(١١) [طه: ١٧-١٨]
(١٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة، واللفظ لابن ماجهْ في صحيحه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدعوة[١٣]، ويورد الحافظ ابن حجر[١٤] في شرحه للحديث خلاصة **أقوال العلماء** في ذلك فيقول: "الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة: أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة -ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل، مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة؛ لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم.

وخصت الغنم بذلك؛ لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر؛ لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أكثر انقيادًا من غيرها"[١٥].

ثالثًا: **"الرحمة"** الرسل والأنبياء بعثوا وأرسلوا لغاية إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهذا محض رحمة بالخلق؛ لأن ذلك ينقذهم من النار؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١٦]، وعن عمر بن أبي سلمة[١٧] قال: (كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة -يعني: الإناء، فيديه تتحرك في كل أجزاء الإناء ولا يأكل مما يليه- فقال لي: يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)[١٨]، فلم ينهره ولم يعنفه ولم يزجره، بل أمره

---

(١٣) أصول الدعوة وطرقها—صـ٦٩.

(١٤) أحمد بن علي بن محمد، الأستاذ إمام الأئمة، أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري الشافعي، ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه. ولد سنة ٧٧٣ بمصر القديمة، ونشأ بها يتيما، وجد في العلوم المناصب كالقضاء والحسبة والإمامة. توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢. انظر ((الضوء اللامع)): ٢/ ٣٦ - ٤٠.

(١٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري—(٤٤١/٤).

(١٦) [الأنبياء: ١٠٧].

(١٧) هو: عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسود بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ، يُكْنَى أبا حفص، ولد بالحبشة في السنة الثانية قبل الهجرة.

(١٨) أخرجه البخاري برقم: (٥٣٧٦)، ومسلم برقم: (٢٠٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

برفق ولين وعطف مستخدماً أسلوب النداء (يا غلام)، ففيه ألفة وقرب ورحمة مع أنه أخطأ، مع أنه حاد عن آداب المائدة وآداب الطعام، لكن مع ذلك انظر كيف رفق به وعلمه صلى الله عليه وآله وسلّم، وقد بوب الإمام مسلم رحمه الله تعالى فقال: باب: جواز قوله لغير ابنه: يا بني[١٩].

رابعًا: "الرفق" فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ انظر بماذا بدأ! (يَا قَوْمِ)، أصلها: يا قومي، فهو ينتمي إليهم، ويبين لهم أنه منهم، وأنه حريص عليهم ومشفق بهم، ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢٠] انظر الشفقة! إني أخاف عليكم، وأنت لا تخاف إلا على من تحبه وترجو له الخير، وهذا من رفق نوح عليه السلام في الدعوة؛ حيث خاف عليهم من العذاب الأليم، والشقاء السرمدي[٢١]، وجاء عن رسول الله ﷺ (من يحرم الرفق يحرم الخير كله)[٢٢] قال الغزالي[٢٣]: الرفق محمود وضده العنف والحدة، والعنف ينتجه الغضب والفظاظة، والرفق واللين ينتجهما حسن الخلق والسلامة، والرفق ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب، وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولذلك أثنى المصطفى -صلى الله عليه وسلم- على الرفق وبالغ فيه.

ومثله قول سفيان الثوري[٢٤] لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ هو أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه.

ووجه كونه خلقًا يقتدى به؛ لأنه دأب وصفة الأنبياء والرسل؛ قال ﷺ: (إنّا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء أخوة لعلات...)[٢٥] فنحن مأمورون كما سبق ذكره باتباعهم والاقتداء بهم.

---

(١٩) دروس محمد إسماعيل المقدم—(٧/٤٦).

(٢٠) [الأعراف: ٥٩].

(٢١) دروس محمد إسماعيل المقدم—(٧/٤٦).

(٢٢) صحيح الجامع برقم: ٦٦٠٦.

(٢٣) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري، يُكنّى بأبي حامد لولد له مات صغيراً، ويُنسب أيضاً إلى "الغَزَالي" نسبة إلى بلدة غزالة من قرى طوس.

(٢٤) هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، فقيه كوفي وأحد أعلام الزهد عند المسلمين، وإمام من أئمة الحديث النبوي، وواحد من تابعي التابعين.

(٢٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة، مجموع الفتاوى لابن تيمية—(٣/٩٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(المبحث الثاني: ترتيب الثواب للحث على محاسن الأخلاق)

إن مما يُرغّبُ به المرء إلى أمر ما هو ترتيب الثواب على ذلك الفعل؛ لأن المسلم هدفه الأكبر والأسمى وغاية آماله وأقصى طموحاته وجلّ أمانيه هي: الجنة، فإذا عرفت أن ما يصل بك إلى غاياتك هي الحسنات وتكثيرها، واجتناب السيئات وتقليلها؛ كنتَ أحْرص وأسعى، وذا من منهج القرآن.

ثم اعلم أخا الإيمان—أيدك الله بروح منه—أن الأخلاق الفاضلة من عناصر بقاء الأمم عزيزة قوية[٢٦]، وقد أحسنَ أحمد شوقي[٢٧] القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فمن الأخلاق التي رُتّبَ عليها الثواب: **"الوفاء والنصح"** وهذا يظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٢٨] فأما قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ ففيه الوفاء بعهد الله تعالى وميثاقه الذي عهده إلى أنبياه لدعوة قومهم، قال الطبري[٢٩]: أي: أؤدي ذلك إليكم، أيها القوم[٣٠]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ بيّن لهم أنه يريد نصحهم ويريد الخير لهم، وأنه على علم من أمر الله لا يعلمونه، ومن حق الناصح أن يطاع ويسمع منه، ثم بيّن لهم أن لا داعي لعجبهم أن جاءتهم رسالة الله على لسان رجل منهم يعرفهم ويعرفونه وينذرهم عاقبة ما هم فيه، ويدعوهم الى تقوى ربهم وخالقهم فعسى أن تصيبهم رحمة الله في الدنيا والآخرة[٣١].

---

(٢٦) مكارم الأخلاق في ضوء القرآن والسنة لسليم الهلالي—صـ١٣.

(٢٧) هو: أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك، كاتب وشاعر مصري يعد من أعظم شعراء العربية في العصور الحديثة، يلقب بـ "أمير الشعراء".

(٢٨) [الأعراف: ٦٨].

(٢٩) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى.

(٣٠) جامع البيان للطبري—(١٠/٢٦٥).

(٣١) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان—صـ٤٨٢-٤٨٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومثله نصح يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام؛ قال تعالى على لسان يعقوب: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[٣٢]، قال ابن كثير[٣٣]: أي: يحتالوا لك حيلة يردونك فيها[٣٤]، ويقول يعقوب عليه السلام: يا بني؛ تحبيباً وتقريبا، وأهل البلاغة يصغرون الاسم المنادى؛ ليكون أوقع في القلوب؛ وفيه أيضا تلّطف وحسن خلق من نبي الله يعقوب عليه السلام.

ومن الأخلاق التي رُتِّبَ عليها الثواب: "الصبر" قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل[٣٥]: (ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا)[٣٦]، وقد سيق الصبر في القرآن في عدة أنواع ذكرها ابن القيم[٣٧] في كتابه (عدة الصابرين) ونحن نذكر بعضها:

- أحدها: الأمر به، كقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[٣٨]، وأيضاً رُتِّبَ عليه أجرا عظيما؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣٩]، وعُلِّقَ الفلاح عليه؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٤٠]، وتعليق الإمامة في الدين، به وباليقين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٤١].

---

(٣٢) [يوسف: ٥].

(٣٣) هو: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي، الحافظ المعروف.

(٣٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير—(٤/٣٧١).

(٣٥) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي، فقيه ومحدِّث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي.

(٣٦) عدة الصابرين لابن القيم—صـ١١٣

(٣٧) هو: محمد بن أبي بكر بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، ويكنّى بأبي عبد الله، لقّب بشمس الدين، واشتهر بابن قيم الجوزية، حيث كان أبوه قيّمًا على مدرسة تُسمّى الجوزيّة، فعرفه الناس بمهنة أبيه.

(٣٨) [النحل: ١٢٧].

(٣٩) [الزمر: ١٠].

(٤٠) [آل عمران: ٢٠٠].

(٤١) [السجدة: ٢٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الأخلاق التي رُتِّبَ عليها الثواب: "**العفو**"؛ قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾(٤٢) يَدخل في العفو عن الناس، العفو عن كلِّ من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم؛ لأنَّ العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلَّى بالأخلاق الجميلة، وتخلَّى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وكراهة لحصول الشرِّ عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير(٤٣)؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(٤٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٤٥)، قال ابن كثير: "هذه الآية نزلت في الصدِّيق، حين حلف ألا ينفع مِسْطَح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال،... فلما أنزل الله براءةَ أمِّ المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلَّم من المؤمنين في ذلك، وأُقيم الحدُّ على مَن أُقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يُعطِّفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه، وهو مِسْطَح بن أثاثة، فإنَّه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وَلَق وَلْقَة تاب الله عليه منها، وضُرب الحدَّ عليها. وكان الصديق رضي الله عنه معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنَّا نحبُّ -يا ربنا -أن تغفر لنا. ثم رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته"(٤٦).

---

(٤٢) [آل عمران: ١٣٤].

(٤٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي—صـ ١٤٨

(٤٤) [الشورى: ٤٠].

(٤٥) [النور: ٢٢].

(٤٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير—(٦/٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(المبحث الثالث: ترتيب العقاب على سيء الأخلاق وبذيئها)

إن مَن تأمَّلَ آيات القرآن، وأَمعَن فيها النظر، ظهر له صـــوَر ومجالات مِن دعوة القرآن، فمِن ذلك: دعوة القرآن إلى مكارم الأخلاق ومعاليها، ووجوب التحلِّي بها، ونعيه على المخالفين للفضـائل وأصـولها، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزانًا شـرعيًّا يُهَذِّب الإنسـان، ويرقى به إلى مدارج الإنسـانيَّة الفاضلة، ولهذا كان المنهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، وتيسير سُبُل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصـلحون بإصـلاح النفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيِّدة فيها، ولهذا أكَّد الإسـلامُ على إصلاح النفوس، وبَيَّنَ أنَّ تَغَيُّرَ أحوالِ الناس مِن سعادةٍ وشقاء، ويُسرٍ وعُسر، ورخاءٍ وضيق، وطمأنينةٍ وقلق، وعز وذل، كل ذلك ونحوه تَبَعٌ لِتَغَيُّر ما بأنفُسهم مِن مَعانٍ وصفات[٤٧]، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[٤٨].

فمن قبيح الأخلاق ومذهبات الأجور: "الغيبة" وجاء في القرآن النهي عنها وترتيب العقاب على فاعلها؛ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[٤٩]، قال الطبري: ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ أي: لكل مغتاب للناس، يغتابهم ويبغضهم، كما قال زياد الأعجم:

تُدلِي بوُدِّي إذا لاقَيْتَني كَذِبا ... وَإنْ أُغَيَّبْ فأنتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ

ويعني باللمزة: الذي يعيب الناس، ويطعن فيهم[٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[٥١]، قال الشوكاني[٥٢]: "فهذا نهيٌ قرآني عن الغِيبة، مع إيراد مثل لذلك، يزيده شدَّةً وتغليظًا، ويوقع في النفوس من الكراهة والاستقذار لما فيه ما لا يقادر قدره، فإنَّ أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلةً وطبعًا، ولو كان كافرًا أو عدوًّا مكافحًا، فكيف إذا كان أخًا في النسب، أو

---

(٤٧) الدعوة القرآنية إلى مكارم الأخلاق ومعاليها لعاطف الفيومي.

(٤٨) [الرعد: ١١].

(٤٩) [الهمزة: ١].

(٥٠) جامع البيان لابن جرير الطبري—(٦١٦/٢٤)

(٥١) [الحجرات: ١٢].

(٥٢) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب نيل الأوطار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في الدين؟! فإنَّ الكراهة تتضـــاعف بذلك، ويزداد الاســـتقذار فكيف إذا كان ميِّتًا؟! فإن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذرًا بالموت، لا يشتهيه الطبع، ولا تقبله النفس، وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغِيبة، بعد النهي الصريح عن ذلك"(٥٣).

ومن قبيح الأخلاق البذيئة: "**الكذب**" ففيه وعيدٌ شـديد ونهي صـريح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(٥٤)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ على الله وعلى رسوله شِرارُ الخلق، ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ من الكفرة والملحدين المعروفين، بالكذب عند الناس(٥٥).

وقال تعالى في وصـــف المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُـرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْـهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُـــرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَـــرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾(٥٦).

قال السعدي: ﴿وَاللَّهُ يَشْـهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في هذا الوعد الذي غروا به إخوانهم، ولا يستكثر هذا عليهم، فإنَّ الكذب وصفهم، والغرور والخداع مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذبهم الله بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ من ديارهم جلاءً ونفيًا ﴿لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ لمحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم(٥٧).

ومن الأخلاق المنهي عنها في القرآن: "**قطيعة الرحم**" قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَـــيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِـــدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾(٥٨) بالتشـــديد و"تقطّعوا" من التقطيع، على التكثير؛

---

(٥٣) الفتح الرباني—١١/٥٥٦٧-٥٥٦٨.

(٥٤) [النحل: ١٠٥].

(٥٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير—(٤/٦٠٤)

(٥٦) [الحشر: ١١-١٢]

(٥٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي—صـ ٨٥١

(٥٨) [محمد: ٢٢]

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟[٥٩]، وقال ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال: مه فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى قال: فذاك لك ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٦٠].

والحمد لله رب العالمين.

(٥٩) معالم التنزيل للبغوي—(٤/٢١٦)

(٦٠) [محمد: ٢٢-٢٣-٢٤]، والحديث أخرجه البخاري برقم: ٤٨٣٠، ومسلم برقم: ٢٥٥٤، من حديث أبي هريرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة:

الحمد لله على تيسيره والشكر له على فضله وامتنانه، لا شريك له سبحانه، فقد أكرمنا الله تعالى بهذا البحث اليسير ورقًا وعددا، وأرجو من المولى جلَّ وعلا أن يكون عظيما أجرًا وثوابا يا رب العالمين، كما نسأله سبحانه أن يمُنَّ علينا ببحوث أخرى تفيد كاتبها وتفيد الأمة وتنير لها بالعديد من العلوم النافعة.

ونستغفر الله تعالى من جميع الذنوب والخطايا ونتوب إليه، وكذا نستغفره من نقصٍ في بحثنا أو زلل، وهذا والله أعلم وأحكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

تمَّ والحمد لله في: ١٤٤٣/٧/٧هـ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المراجع

-القرآن الكريم

١. الترمذي
٢. البخاري
٣. ابن ماجه
٤. فتح الباري في شرح صحيح البخاري
٥. صحيح الجامع
٦. جامع البيان الطبري
٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير
٨. تيسير الكريم الرحمن للسعدي
٩. الفتح الرباني
١٠. معالم التنزيل للبغوي
١١. صحيح مسلم
١٢. الدعوة القرآنية إلى مكارم الأخلاق ومعاليها لعاطف الفيومي
١٣. عدة الصابرين لابن القيم
١٤. أصول الدعوة لعبد الكريم الزيدان
١٥. مكارم الأخلاق في ضوء القرآن والسنة للهلالي
١٦. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

التمهيد.....٣

المبحث الأول: الترغيب في الأخلاق من خلال الاقتداء بالأنبياء.....٥

المبحث الثاني: ترتيب الثواب للحث على محاسن الأخلاق.....٩

المبحث الثالث: ترتيب العقاب على سيء الأخلاق وبذيئها.....١٢

الخاتمة.....١٥

المراجع.....١٦

****